



دراسة

من زمن التوجه

يون



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

مخزي لريم

العدد (5265) السنة العشرون

الخميس (15) أيلول 2022

الحسين

ثورة دائمة



عمارة المرقد الحسيني الشريف

مجاهد منعتر منشد

بعد استشهاده الإمام الحسين (عليه السلام) في طف كربلاء عام ٦١ هـ يوم الثالث عشر من شهر محرم الحرام قام الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مع بني أسد بدفن الجسد الطاهر للإمام الحسين (عليه السلام) وأجساد الشهداء من أهله وأنصارهم.

والثابت في الرواية والاختبار بأن أول زائر زار القبر الشريف في عام ٦١ للهجرة يوم الأربعاء الأول هو الصحابي جابر الأنصاري الذي قال: المَسُونِي القَبْرِ... وكان معه عطية العوفي، فقد رُوِيَ أَنَّهُ فِي يَوْمِ العَشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ كَانَ رَجُوعَ حَرَمِ الحُسَيْنِ (عليه السلام) مِنَ الشَّامِ إِلَى مَدِينَةِ الرُّسُولِ (صلى الله عليه وآله)، وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى زِيَارَةِ الحُسَيْنِ (عليه السلام)، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ زَارَهُ مِنَ النَّاسِ.

وفي تاريخه كربلاء كان بني أسد قد حددوا للقبر مسجداً وبنوا سقيفة على قبره الشريف ووضعوا على القبور الرسوم التي لا تبلى.

ويشير ابن قولويه إلى ذلك قائلاً: ان الذين دفنوا الحسين (عليه السلام) اقاموا لقبره رسماً ونصبوا له علامة وبنوا لا يندرس أثره.

و ما بين عامي ٦١ - ٦٣ هـ بنوا مسجداً عند رأس الإمام الحسين (عليه السلام).

وعام ٦٤ هـ قام بنو نضير وبنو قنيقاع ببناء صندوق الضريح.

وسنة ٦٦ هـ عمر المختار بن أبي عبيدة الثقفي على مرقد الشريف قبة من الجص والأجر، وقد تولى ذلك محمد بن إبراهيم بن مالك الأشتر، واتخذ قرية من حوله، وكان للمرقد بابان شرقي وغربي وبقي على ما قيل حتى عهد هارون العباسي.

وعام ١٣٢ هـ في عهد مؤسس الدولة العباسية أبو العباس عبد الله السفاح فسح المجال لزيارة قبر الحسين عليه السلام وابتدأ عمران القبر من جديد.

وعام ١٥٨ هـ في عهد المهدي العباسي - أُعيد

تشبيد السقيفة، وان ام المهدي كانت تسلم الهبات الخيرية الى خدم المشهد الحسيني، وتصرف المرتبات لهم.

الطبري حوادث عام ١٩٣ هـ. وقام المواليين بتعمير القبر وقد استغلوا الصراع بين الأمين والمأمون.

وفي عام ١٩٨ هـ ارد المأمون بن هارون كسب ثقة المواليين لاهل البيت وتأييده بعد حربه مع اخيه الامين، ففسح المجال لزيارة قبر الامام الحسين (ع) وتعميره، فبني عليه قبة شامخة لغرض سياسي.

وعام ٢٤٨ هـ أمر المنتصر العباسي ببناء مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) وإعادةه إلى ما كان عليه..

وقام داعي الصغير محمد بن زيد أمير جرجان بزيارة الحائر وأمر بعمارة المرقد الشريف. فانتهى من بنائه عام ٢٨٠ هـ، فوضع قبة شامخة على المرقد وبابين وبنى للمرقد إيوانين كما بنى سوراً حول الحائر ومنازل للزائرين والمجاورين. ويُذكر أن داعي الصغير بالغ في فخامة البناء وحسن الرياضة ونقطة الصنعة في عمارة الحائر.

وعام ٢٤٨ هـ ولما استقر الحكم للمنتصر في نفس السنة وبلغ مسامع الأثنائي توجه من ساعته إلى كربلاء ومعه جماعة من الطالبين والشيعة - وذكر أنه كان برفقة إبراهيم بن محمد العابد ابن الإمام الكاظم (عليه السلام) المعروف بسيد إبراهيم المجاب (عليه السلام) فلما وصلوا كربلاء أعادوا للقبر معاملة القديمة.

وورد في دائرة المعارف الحسينية وتاريخ المرقد:

عام ٣٥٢ هـ أمر معز الدولة البويهبي بإقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام في بغداد وذلك في يوم عاشوراء، وكان لهذا الأمر آثاره الإيجابية في تطوير وإعمار مرقد الإمام الحسين عليه السلام وإنعاش مواسم الزيارة، بل وساهم في عمارة المرقد.

وعام ٣٦٨ هـ بنى عمران بن شاهين الخفاجي المسجد المعروف باسمه إلى الآن والذي يقع إلى جهة الشمال من الروضة، وقد ضُم فيما بعد إلى الحرم، أما الرواق الذي شيده فيقع إلى جهة

الغرب من قبر الحسين عليه السلام، وهو أول من ربط حزام الحائر بالرواق. ان رواق ابن شاهين في الجانب الغربي من الحائر الشريف المعروف اليوم برواق السيد ابراهيم المجاب وبنى بجانبه مسجداً سمي باسمه ذكره ابن بطوطة الطبخي في رحلته وكان هذا المسجد موجوداً إلى أيام الصفويين فاستثنوا بدمج المسجد في الصحن فأدمج في الصحن وبقي من المسجد أثره حتى اليوم وهو محل خزن مفروشات الروضة الحسينية خلف الإيوان المعروف بالايوان الناصري وتم ذلك البناء أي بناء الرواق والمسجد المعروف برواق مسجد ابن شاهين.

وفي عام ٣٦٩ هـ قام عضد الدولة بزيارته التقليدية للمرقد المطهر للإمام الحسين عليه السلام أمر بتجديد بناء القبة الحسينية وروضتها المباركة، وشيّد ضريح الإمام الحسين عليه السلام بالعاج، وزينه بالحلل والديباج، وبنى الأروقة حوالي مرقد المقدس وعمر المدينة.

وسنة ٣٧١ هـ واصل عضد الدولة زيارته السنوية للحائر المقدس، وبيدوا لنا أنه أشرف في هذه السنة على مراسم الانتهاء من إعمار وبناء المرقد الحسيني المطهر، فاهتم بتزيين الروضة والأروقة، حيث جلب معه القناديل والثريات المضاءة بالشمع لإنارة الروضة المقدسة، كما زين الضريح بالساج والديباج وغلفه بالخشب، وأمر ببناء الصحن الصغير وبناء مدرسة ثانية إلى جوار الصحن الشريف وملاصقة له، وقد احتل الصحن الصغير موقعه في الجهة الشمالية الشرقية للمرقد المطهر فيما كانت المدرسة قد بُنيت إلى الغرب من الصحن الصغير أي شمال المرقد المطهر، ويحتوي الصحن الصغير على مئذنتين، وكان منه يذهب إلى مرقد أبي الفضل العباس. يصف الكليدار هذا الصحن الذي عُرف بالصحن الصغير.

وكذلك أمر قبل وفاته سنة ٣٧٢ هـ ببناء مرقد العباس (ع) لأول مرة وشيّد اول سور للحائر وقد قدرت مساحته ٢٤٠٠ م٢.

وعام ٤٠٧ هـ أصاب حرم الإمام الحسين (عليه السلام) حريق أثار سقوط شمعتين كبيرتين في الحرم، فقام الحسن بن الفضل وزير الدولة

البويهية بإعادة البناء نفسه مع تشييد السور، (١٧)..

في سنة ٤٧٩ هـ زار الحائر الشريف السلطان ملكشاه السلجوقي مع وزيره نظام الملك وأمر بتعمير سور الحائر.

وعام ٧٦٧ هـ اكمل السلطان أوليس الإيلخاني الجائري تجديد بناء الحرم الحسيني، وأتمه واكمله ولده السلطان حسين.

وسنة ٩١٤ هـ أمر الشاه اسماعيل الصفوي بتذهيب حواشي الضريح الحسيني، وأهدى اثني عشر قنديلا من الذهب، كما أهدى الشاه نفسه شبكة فضية أي صندوقاً بديع الصنع للحائر المقدس وفرش رواق الحضرة بأنواع المفروشات القيمة.

وسنة ٩٨٤ هـ بامر اسماعيل مرزا شيد ضريح سيد شباب اهل الجنة، والمسجد والرواق والقبة وعمر أيضاً قباب شهداء كربلاء.

وقيل بامر مراد الثالث حيث كلف واليه علي باشا الوندزادة بتعمير المرقد.

وقد أمرت زوجة نادر شاه كريمة السلطان حسين الصفوي بتعمير المسجد المطهر عام ١١٥٣ هـ، وأنفقت لذلك امولا طائلة.

وسنة ١٢٠٧ هـ تم تذهيب قبة الحسين عليه السلام على عهد القاجاريين ثلاث مرات وفي زمن السلطان آغا محمد خان (٢٣).. وفي عهد السلطان فتح علي شاه القاجاري.

وعام ١٣٢٢ هـ جرت اصلاحات كثيرة للحائر بعد غارة الوهابيين على يد السلطان المذكور بهمة المرحوم الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء. وقام نجله محمد علي مرز القاجاري بتعمير الحائر أيضاً وتزيين الحرم وما يحتاجه من تعبير.

وتم التذهيب الثالث للقبة من قبل السلطان ناصر الدين شاه القاجاري حفيد فتح علي شاه حيث جدد بناءها وقسمها من تذهيبها في سنة ١٢٧٣ هـ.

وقد وسع السلطان ناصر الدين شاه الجانب الغربي من الصحن وجدد بناءه حيث وجه كبير علماء ايران المرحوم الشيخ عبد الحسين الطهراني سنة ١٢٧٦ هـ من أجل اصلاح وتجديد وتعمير الصحن الشريف.

وقد تم تجديد صندوق الخاتم للقبر المطهر في هذا العهد بالذات، فقد جده خان جان القاجار في سنة ١٢٢٥ هـ لأن الوهابيين كانوا قد كسروا هذا الصندوق وأحرقوه في سنة ١٢١٦ هـ.

وسنة ١٣٥٥ هـ أمر السلطان طاهر سيف الدين الداعية السماعيلي بتجديد شبك الضريح الحسيني المقدس من الفضة الخالصة، وقد صنع في الهند سنة ١٣٥٨ هـ كما وتبرع بعض الوجوه بالهمة التي بذلها السيد عبد الحسين السيد علي آل طعمة سادن الروضة الحسينية بمبلغ من المال لتجديد هيكل الضريح، فتم ذلك في سنة ١٣٦٠ هـ. أما المسجد الكائن في القسم الشرقي من الصحن الشريف فقد قام بتجديده السيد كاظم بن السيد قاسم الرشتي المتوفى في سنة ١٢٥٩ هـ.

وسنة ١٢٨٢ هـ أمرت والدة السلطان عبد المجيد العثماني بتشبيد خزان لإرواء الماء في الجهة الجنوبية الشرقية من الصحن الشريف.

وفي عام ١٣٥٤ هـ أُرصدت مديرية الأوقاف العامة مبلغاً من المال لتسوير أسس جدار الرواق الغربي للصحن الحسيني كما خصصت المبالغ اللازمة لدفن الجهة الغربية من الصحن.

وقد بقيت أرض صحن الروضة مفروشة بالرخام الذي كان قد تبرع به السلطان ناصر الدين شاه القاجاري، إلى أن تبرع السيد أحمد مصطفى احد تجار إيران بالكمية الكافية من الرخام الإيراني ذي الحجم الكبير لتجديد فرش الصحن والروضة الحسينية.



العقاد.. وأبو الشهداء

زكي الميلاد



قدّم العقاد في كتابه (أبو الشهداء.. الحسين بن علي) عملاً يمكن وصفه بالرائع والبديع والبليغ، وجاء شافياً ووافياً في حكمته وموضوعه، امتزج فيه الأدب الرفيع بالفكر الحرّ وصفاء الضمير، ومتى ما التقت هذه العناصر وامتزجت أنتجت عادة عملاً مميّزاً كالذي تجلّى في هذا العمل وبات يعدّ من روائع مؤلفات العقاد.

وأظن أن من يطلع على هذا الكتاب يتملّكه حبّ العقاد، ويكفي هذا الكتاب لوحده لأن يتملّك الإنسان حبّ العقاد، ولا أخفي أنني بهذا الكتاب تحديداً أحببت العقاد، أحببت فيه صدق مشاعره النبيلة تجاه الحسين (عليه السلام)، المشاعر التي عبّر عنها العقاد بأدب جميل، جعلت من كتابه يحتوي على نصوص بديعة تستحقّ الحفظ والتدوين والتداول، وترتقي لأن تكون في مصاف النصوص الإنسانية الخالدة.

وفي سيرته، يذكر العقاد عند حديثه عن منهجه في التأليف كيف أن العاطفة لها صلة بأسلوب التعبير عن المعنى، فيشددّ شعوره بها على قدر إشباعها وقوة أدائها، وربما تحول القلم معه من أسلوب الانفعال إلى أسلوب السخرية والتحكّم، أو من أسلوب النقد إلى أسلوب التنديد والتفنيد، إذا ارتفعت عنده نغمة المعنى وارتفعت طبقة أُنشَاء الأداء، فحدث له أن كتب فصلاً من كتابه (أبو الشهداء) وعيناه مغروقتان.

ومن يتعرف إلى هذا الكتاب يجد أنه لا غنى عنه في موضوعه، يحتاج إليه كل من يريد التعرف إلى حركة الحسين ونهضته؛ وذلك لأدبه الرفيع من جهة، وطريقته في التحليل من جهة ثانية، وشمولية المعالجة من جهة ثالثة، وتماسك الموضوع من جهة رابعة، إلى جانب منزلة العقاد الاعتبارية فكرياً وأدبياً.

ولعلّ العقاد قد تفرّد في منهجية البحث وطريقة المعالجة، مستنداً إلى منهج متعدد الأبعاد، جامعاً ما بين التحليل النفسي والاجتماعي والتاريخي، مبتدئاً من التحليل النفسي، ناظراً إلى جانب الشخصية، كاشفاً عن أن هناك مزاجين تاريخيين متقابلين يتناوبان طبائع الناس، ومتحوّلاً من ثمّ إلى التحليل الاجتماعي وناظراً من جهة إلى جانب العائلة، ومن جهة أخرى ناظراً إلى جانب الجماعة، في جانب العائلة كاشفاً عن أسباب التنافس والخصومة، وما يوجب النفرة بين فئتين تختلف من جهات الخليقة والنشأة والتفكير، وفي جانب الجماعة كاشفاً عن المقابلة والموازنة بين أعوان الفريقين.

وفي المنهج التاريخي، تتبّع العقاد محطات سير الحسين وحركته من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق، ومتوقفاً عند كربلاء المكان والمعركة والمصيبة والحرم المقدس، ومتسائلاً في نهاية المطاف: من الظاهر؟ ومنهياً العمل بخاتمة تلتفت الانتباه في موضوعها وسياقها وحتى في عنوانها، فقد عنوانها العقاد بعنوان: (في علم الجمال)، ناقلاً الحديث فيه إلى عالم الأدب، متطرقاً إلى جمالية الشعر والشعراء في رثاء الحسين (عليه السلام).

هذا عن المنهج وتطبيقاته، أما عن الآراء والمواقف، فعند الحديث عن جانب الشخصية وتحليله النفسي لما سمّاه المزاجين التاريخيين، يرى العقاد أن هناك مزاجين متقابلين يتناوبان طبائع الناس، مزاج يعمل أعماله للأريحية

والنخوة، ومزاج يعمل أعماله للمنفعة والغنيمة، وفي ماضي الشرق وحاضره هناك كثير من الحركات التاريخية التي وقع الصدام فيها بين الأريحية والمنفعة على أكثر من غرض واحد.

ولا يحسب العقاد أنه مهتد إلى نموذج لهذا الصدام أوضح في المبادئ، وأهدى إلى النتائج، وأبين عن خصائص المزاجين معاً، من النموذج الذي عرضه لنا التاريخ في النزاع بين الطالبين والأمويين، ولا سيما النزاع بينهما على عهد الحسين بن علي ويزيد بن معاوية، فقد بلغ كلاهما من موقفه -حسب قول العقاد- أقصى طرفيه، وأبعد غايتيه، فانتصر الحسين بأشرف ما في النفس الإنسانية من غيرة على الحق، وكراهة للفساد، وانتصر يزيد بأرذل ما في النفس الإنسانية من جشع ومرء وخنوع لصغار المتع والأهواء... وإلى الأفق الأعلى من الأريحية والنخوة ارتفعت بالنفس الإنسانية نصرة الحسين، وإلى الأغوار المرنولة من الخسة والأثرة هبطت بالنفس الإنسانية نصرة يزيد.

وختم العقاد الحديث عن هذا الجانب بقوله: إن حياة الحسين صفحة، لا تماثلها صفحة في توضيح الفارق بين خصائص هذين المزاجين، وبيان ما لكل منهما من عدّة للنجاح في كفاح الحياة، سواء نظرنا إلى الأمد البعيد أو قصرنا النظر على المدى القريب.

وعند حديثه عن جانب الشخصية من جهة تأثيرات الأسرة وتحليله النفسي والاجتماعي، يرى العقاد أنه أمام خصميين الموازنة بينهما هي في بعض وجوهها موازنة بين الهاشميين والأمويين، اللذين يختلفان في الأخلاق والأمزجة، فبنو هاشم -كما يقول العقاد- في الأغلب مثاليون أريحيون ولا سيما أبناء فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وبنو أمية في الأغلب الأعم عمليون نفعيون ولا سيما الأصلاء منهم في عيشهم من الآباء والأمهات.

واستناداً لهذا الإطار التحليلي النفسي الاجتماعي، يرى العقاد أن تقابل الحسين بن علي ويزيد بن معاوية فيه تمثيل الأسترتين، والمزجة الأولى التي ينبغي للحسين هي مزجة نسبة الشريف ومكانه من محبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبهذه المزجة كان الحسين في نظر العقاد، أحب إنسان إلى قلوب المسلمين، وأجدر إنسان أن تنعطف إليه القلوب، وقد اشتهر على الجود بصفتين من أكبر الصفات الإنسانية وأليقهما ببيته وشرفه وهما الوفاء والشجاعة.

ويضيف العقاد وليس في بني الإنسان من هو أشجع قلباً ممن أقدم على ما أقدم عليه الحسين في يوم كربلاء، أما خصمه فيقف أمامه موقف المقابلة والمناقضة، لا موقف المقارنة والمعادلة. وحين تحدّث عن أعوان الفريقين، ختم العقاد حديثه بما نصه: «وهكذا كان ليزيد أعوان إذا بلغ أحدهم حدّه في معونته فهو جلال مبذول السيف والسوط في سبيل المال، وكان للحسين أعوان إذا بلغ أحدهم حدّه في معونته فهو شهيد يبذل الدنيا كلها في سبيل الروح، وهي إذن حرب جلادين وشهداء».

وتسأل العقاد: هل أصاب الحسين؟ وأجاب في مفتتح الحديث بقوله: إن خروج الحسين من مكة إلى العراق حركة لا يسهل الحكم عليها بمقاييس الحوادث اليومية؛ لأنها حركة من أنذر حركات التاريخ في باب الدعوة الدينية أو الدعوة السياسية، لا تتكرر كل يوم، لا يقوم بها كل رجل... هي حركة لا يأتي بها إلا رجال خلقوا لأمتالها، فلا تخظر لغيرهم على بال؛ لأنها تعلق على حكم الواقع القريب الذي يتوخاه في مقاصده سالك الطريق اللاتب والدرب المطروق، هي حركة فذة يقدم عليها رجال أقداد... وجملة ما يقال: إن خروج الحسين من الحجاز إلى العراق كان حركة قوية لها بواعثها النفسية التي تنهض بمثله، ولا يسهل عليها أن يكبتها أو يحيد عن مجراها، وإنها قد وصلت إلى نتائجها الفعالة من حيث هي قضية عامة تتجاوز الأفراد إلى الأجيال والأجيال.

ولا خلاف عند العقاد ولا جدال أن الحسين في حركته قد أصاب، بل وأصبح ينبوع شهادة متعاقبة لا يقرب بها ينبوع في تاريخ البشر أجمعين... ويرى العقاد أن مأساة كربلاء كلها ختمت بعد أيام معدودات، ولكنها أيام بقيت لها جريرة لم يخدمها طالب منفعة، ولا طالب مروءة، وضمت مئات السنين وهي لا تمحو آثار تلك الأيام في تاريخ الشرق والإسلام.

أما كربلاء وكيف تحولت صورة المكان من عالم النسيان إلى عالم الذكرى والتذكّر، فقد صور العقاد ذلك بقوله: كربلاء التي لم يكن لها ما تذكر به... وليس لها من موقعها ولا من تربتها، ولا من حوائثها ما يُغري أحداً برؤيتها... ولعلّ الزمن كان خليفاً أن يعبر بها سنة بعد سنة، وعصراً بعد عصر، دون أن يُسمع لها اسم أو يُحس لها بوجود... وشاعت مصادفة من المصادفات أن يُساق إليها ركب الحسين... فاقترب تاريخها

منذ ذلك اليوم بتاريخ الإسلام كله، ومن حقّه أن يقترن بتاريخ بني الإنسان. هذا عن كربلاء الأسمى، أما عن كربلاء اليوم فهي حسب قول العقاد: «حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة، ولكنها لو أعطيت حقّها من التنويه والتخليد، لحقّ لها أن تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة، وخطاً من الفضيلة؛ لأننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى والزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها، فكل صفة من تلك الصفات العلوية التي بها الإنسان إنسان... فهي مقرونة في الذاكرة بأيام الحسين في تلك البقعة الجرداء».

وأراد العقاد أن يختم كتابه برثاء الحسين ناعياً له بأجمل ما قيل في حقه شعراً، ومن أجزل الشعراء نبلاً وحجاً للحسين (عليه السلام) فقد تمثلت -كما يقول العقاد- سجية عاشق الجمال في كل شعر نطله شعراء الحسين ونويه تعظيماً لهم وثناء عليهم، فلم يتجهوا إليهم بمدوحين، وإنما اتجهوا إليهم صوراً مثلى يهيمون بها كما يهيم المحب بصورة حبيبة، ويستعذبون من أجلاها ما يصيبهم من ملام وإيلام.

ومن هؤلاء الشعراء الذين أشار لهم العقاد مقتبساً أبياتاً من شعرهم في رثاء الحسين، جاء في مقدمتهم الكميّ بن زيد الأسدي (توفي ١٢٦) واصفاً إياه بشاعر أهل البيت، ومنهم دعبل الخزاعي (١٤٨ - ٢٤٦هـ) واصفاً إياه بالشاعر العجيب، ومنهم علي بن العباس بن الرومي واصفاً إياه بالشاعر الفحل. وأشار العقاد إلى أبي العلاء المعري (٣٦٣ - ٤٤٩هـ) ناقلاً عنه هذه الأبيات:

وعلى الدهر من دماء الشهيد
دين عليّ ونجلاه شاهدان
فهما في أواخر الليل فجرا
ن وفي أولياته شفقان
ثبنا في قميصه ليحيء الـ
حشر مستعدياً إلى الرحمن

وفي الأسطر الأخيرة من كتابه ختم العقاد بقوله: إن وحى الشعر من سرائر النفوس لأصدق حكماً من لسان التاريخ إذا اختلف الحكمان، ولكنهما قد توافيا معاً على مقال واحد، فجلوا لنا من سيرة الحسين صورة الجمال في عالم المثال، وكذلك يعيش ما عاش في أخلاق الناس.

عبد الرحمن الشرقاوي ومعرفة الحسين ثائراً

علي حسين



أيام الشباب كانت بعض المؤلفات المصرية أشبه بالسحر، أما مؤلفيها فكانوا نوعاً آخر من البشر، لم أحلم أو أفكر إنني ذات يوم سأكتب عن طه حسين، واستشهد بتوفيق الحكيم، واستمد طراوة العبارة من أسلوب العقاد، هؤلاء كانوا كائنات من الخيال بالنسبة لي، وكان هناك أيضاً صاحب رواية الأرض ومسرحية الفتى مهرا، وملحمة الحسين شهيداً، والكتاب الوثيقة علي أمام المتقين.



عن صاحب الشوارع الخلفية، قرأت كتاباً صغير الحجم بعنوان «أولياء الكتابة الصالحون» يروي مؤلفه محمد توفيق كيف قرأ هؤلاء الكبار، نقرأ عن عبد الرحمن الشرقاوي ومعرفة الصحفية حول كتاب علي إمام المتقين.

يقول الشرقاوي: «كنت أنشر فصول الكتاب في جريدة الأهرام وعندما وصلت إلى موقف علي وأبي ذر من المال، كتب الصديق ثروت أباطة معلناً خلافه معي حول هذا الموقف من المال وزعم أنه موقف الشيوعية لا موقف الإسلام فرددت عليه ولكن الصديق ثروت لم يكذب أبداً حتى انفجرت ضدي ثورة ظالمة. حين أثرت الحديث عن الموقف من الثروة وكيف أن الإمام لم يجد في الخلافة حقاً استثنائياً في المال والأرض، فسأوى نفسه مع الجميع، رفض أن يسكن قصر الإمارة ونزل مستأجراً في منزل يملكه أفقر فقراء الكوفة».

كان عبد الرحمن الشرقاوي علامة من علامات الثقافة العربية المعاصرة، التي نفتقد ملامحها هذه الأيام، انتمى لليسار المصري منذ شبابه، وتولع بكتاب رأس المال ونهج البلاغة واعتراقات جان جاك روسو، وأغرم بكتاب فولتير في التسامح ومقدمة ابن خلدون ولزوميات المعري، فأصبح يشرحها لقرائه مقالته الأسبوعي في مجلة روز اليوسف، يكتب في إحدى هذه المقالات المتعة أنه «في قرينته الصغيرة في محافظة المنوفية، كانت أمه تحدّثه عن صلابه عمر وعدل علي، وكان حديثها عن تضحية الحسين يسحره، فيجد في كلماتها تعبيراً حقيقياً عن آلام الناس ومعاناتهم». ويضيف «بعد أن ضاقت بنا سبل التقدم والرفاهية والاستقرار، ويفتك بعضنا بالآخر، والناس، ارتأيت أن أكتب شيئاً عن ذلك وطبعاً كنت قد قرأت نهج البلاغة وعشت محنة علي بن أبي طالب وتأثرت به فوجدته

ويلخص الشرقاوي أهم محطات ومراسل تكوينه الفكري والأدبي فيقول: «قرأت القرآن وتفايسره ورأيت فيه استجابة لأشواق الإنسان إلى العدل ولعنة شديدة على الظلم. وأول ما أحببته من القراءة شعر الشعراء الصعاليك العرب وعندما درست اللغات الأجنبية أحببت الشعراء الصعاليك الأجانب لأن أدب الصعاليك



١٩٤٥ رئيساً لتحرير المجلة التي تصدرها رابطة الخريجين، عام ١٩٥٢ سيصدر بالتعاون مع الفنان والكاتب حسن فؤاد مجلة الغد وهي مجلة تقديمية يغلب عليها الطابع الماركسي، عام ١٩٤٥ سيصدر أولى أعماله الروائية «الأرض» وكان قبلها قد أصدر مجموعة قصصية بعنوان أرض المعركة عام ١٩٥٢، والحقه عام ١٩٥٤ بمجموعة ثانية بعنوان «أحلام صغيرة»، عام ١٩٥٧ أصدر ديوانه «من أب مصري إلى الرئيس ترومان» ويعدها النقاد من أوائل القصائد في حركة اشعر الحر العربي، عام ١٩٥٩ يصدر مسرحيته الشهيرة «مأساة جميلة» وفي نفس العام يصدر كتابه محمد رسول الحرية، في الخمسينيات ينتمي إلى الحزب الشيوعي المصري، لكنه لم يستمر طويلاً حيث تعرض إلى الاعتقال والفصل من وظيفته

وبعد هزيمة ١٩٦٧ كتب الشرقاوي مسرحية بعنوان «تمثال الحرية» يندد فيها بالاستعمار الأمريكي وخداعه للدول النامية بشعارات الحرية.

بعدها سيقدم عام ١٩٦٣ مسرحيته «الفتى مهرا» والتي قدم من خلالها مأساة بطل يريد أن يمارس حقه في الاختيار ومأساة بشر يريدون

والأدباء من يدفعك إلى اتخاذ موقف آخر مثل جويس - ليوت - سارتر - كامو طلت موضوعه العدالة تشغل تفكير عبد الرحمن الشرقاوي ورغم تنقله من الماركسية في بدايات شبابه ونضجه الفكري، إلى الصوفية في أواخر حياته، إلا أن التبشير بفكرة العدالة الاجتماعية ظل يمثل الأساس في معظم كتاباته سواء في الشعر أو الرواية أو الدراسات النقدية أو كتب السيرة أو المسرحيات فإنها جميعاً يغلب عليها طابع الدفاع عن حق الإنسان في العيش بكرامة، انه يعبر من خلال كتاباته عن هموم الإنسان، ولعل مجموعة كتبه التي أصدرها خلال حياته التي لم تتجاوز الـ ٦٧ عاماً إنما هي نموذج رائع للمشاركة الفعالة في التعبير عن التضامن الإنساني، بل إن مسرحياته تؤرخ لكثير من الأحداث في حياتنا الاجتماعية والسياسية والفكرية

ولد الشرقاوي في العاشر من تشرين الثاني عام ١٩٢٠ في إحدى قرى محافظة المنوفية، وقد أتم تعليمه الأولى في مدرسة القرية ثم انتقل إلى القاهرة ليلتحق بالمدرسة الابتدائية، بعدها انتقل إلى مدرسة الخديوية الثانوية، دخل كلية الحقوق ليتخرج منها عام ١٩٤٣ ليعمل محامياً، لكنه سرعان ما يتفرغ للصحافة حيث أصبح عام

يمثل صرخة احتجاج على الظلم وتمرداً على الأوضاع الجائرة. كما استهواني الفكر الإنساني الذي يتحدث عن قضايا حق الإنسان في ممارسة العدل وأن يحيا سعادته وأن يحقق بعمله كل أحلامه وأن يمنحه المجتمع الحب والفضائل. وفي الفكر العربي استهواني الثوار من أيام علي بن أبي طالب أولئك الذين كان لديهم الطموح في أن يحوّلوا الدنيا إلى جنة للحب والإخاء وأن يجعلوا شرف الإنسان أقوى من كل شيء وأن يرتفعوا فوق الطمع والخوف... وفي هذا الإطار أيضاً بهرنى فكر المعتزلة والمتصوفة وشخصية الحسين وشعر المعري والمنتبي - وثوريات طه حسين واقترحات توفيق الحكيم ونفتح إسماعيل أدهم وإسماعيل مظهر وكتابات سلامة موسى عن الاشتراكية والأدب ونظريات محمد مندور المتطورة في نقد الشعر. أما في الفكر الأجنبي فقد استهواني ماركس وكتابات لينين وتمرد فرانسوا فيون وصلابة فيكتور هوجو وتمرد شكسبير وأحلام الرومانتيكيين بيرون - شيللي - بلزاك - ديكنز - شو - توماس مان.. كما بهرتني كتابات بوشكين - دوستوفسكي - تولستوي - تشيخوف - غوركي - أرغون - هيمنجواي - لوركا.. وهناك من المفكرين

الجواهري وقصيدة الحسين

رواء الجصاني

يُحفلُ ديوان الجواهري العامر (١٩٢١-١٩٩٤) بعشرات الابيات، في أكثر من قصيدة، وطوال عقود، بتمجيد للميزات الشخصية وأفانق التنوير والتفوير، هنا، وللمآثر والبطولات هناك، لنبي المسلمين المعظم، محمد بن عبد الله، وصهره، وأبن عمه، امام المتقين كما يوصف، علي بن ابي طالب، ولجمع من الأهل والأبناء والأسباط، ومنهم، مع حفظ الألقاب والمكانات (الى جانب زوجة الرسول الاولى، خديجة، وابنتها فاطمة - زوجة علي): بحسب التسلسل الزمني للقصائد الجواهريية: موسى ابن جعفر، العباس بن عبد المطلب، الحسين بن علي، جعفر ابن الحسين، مسلم ابن عقيل، وجعفر ابن ابي طالب.. (١)

وأذا ما جاء ذكر الشخصيات الكريمة السابقة في ابيات متفرقة، ضمن قصائد مختلفة، يُبرز الديوان العامر قصيدتين متميزتين للجواهري عن واقعة الطف، ومآثر الإمام الحسين، هما فريداً: (عاشوراء) و(أمنت بالحسين) اللتان فاضلتا بمكونات الشاعر الخالد، ودواخله، في ما أراد التأشير اليه والتعبير حوله، من مغزٍ جلي، واستنباط، وإشاعة، علانية مع سبق الاصرار..

والقصيدة الاولى "عاشوراء" المنظومة والمنشورة عام ١٩٣٥ كانت بثمانية وستين بيتاً، استعرض في الجواهري، ووثق خلالها العديد من الاحداث التاريخية، الثورية والمساوية في ان واحد، وبالاسماء المرفوعة بالاوصاف التي تليق - بحسب رؤاه- بالمضحين من اجل البقاء، من جهة، والتي التصقت بمعارضيه، بل ومحاربيهم وقتلتهم، من جهة ثانية...

هي النفس تأتي أن تذل وتقهرا... ترى الموت من صبر على الضيم أيسرا
وتختار محموداً من الذكر خالد... على العيش مذموم المغيبة مُكرًا...
وان جاءت "عاشوراء" في زمانها، والجواهري انذاك في عقده الثالث وحسب، مباشرة في المعاني والتصريح، واقترب للتوثيق التاريخي، هدر الشاعر بعد ذلك باثني عشر عاماً، بعضماً "أمنت بالحسين" التي فاضت بالتعبير عن المواقف والمفاهيم الطافحة بالإباء والشموخ، والمجددة للقاء والتضحيات، كما هي الحال في الخوالم الجواهريية العديدة، وان اختلفت في الصور والاستعارات، كما في الزمان والمكان:

فداء لمخاوك من مضجع... تنور بالابلج الأروع ورعباً ليومك يوم "الطوف" ...
وسقياً لأرضك من مصرع تعاليت من مفرع للحتوف... وبورك قبرك من مفرع

× ومن بين ابيات تلك العينية الشهيرة، ايضاً:
تمثلت يومك في خاطري... ورددت "صوتك" في مسمعي
ومحصت أمرك لم "أرتهب"... بنقل "الرواة" ولم أضع
ولما أرحت طلاء "القرون"... وستر الخداع عن المخدع
وجدتك في صورة لم أرع... بأعظم منها ولا أروع

لقد سبق ان أرحنا للقصيدتين في كتابة سابقة، نشرناها في فترات زمنية متفاوتة، وفي وسائل اعلام عديدة (٢) .. ثم، وفي مسارات بحثنا في اصدارات ونقريات الجواهري، وصحفه، راحت امامنا مادة أخرى تعنى بذات الموضوع، ونعني به مآثر الامام الحسين، واستلهامات الجواهري العظيم منها وعنها... وها هي جريدة الجهاد تنشر في عددها ١٢٨ بتاريخ ٣٠/أيلول/١٩٥٢ مقالا افتتاحياً بتوقيع الجواهري حمل عنوان:
"تضحيات الحسين صورة لم يخلق إطارها بعد"... ومما جاء فيه:

"... ومع هذا كله فستظل تضحية البطل الحسين بن علي، سيدة التضحيات، وسيظل هو بحق وجدارة سيد الشهداء. تقول ذلك غير مغالين. ونقول - ولا نغالي أيضاً- أن تضحية الحسين دوت بذكرها في كل بقاع الدنيا أياً كان جنسها ودينها... وإنها لكانت اليوم كذلك، لو أردنا لها نحن المسلمين أن تتحرر من هذا الإطار الديني الضيق، الذي يراد حصرها فيه، بل لو كتب لهذا الدين الإسلامي نفسه على الأقل أن يتحرر هو من بدعه وشوائبه ومن زيغ فئة غير قليلة من المتظاهرين باحتضانه، والمتزينين بزى النافحين عنه، وأن تتخلص من سوس التفرقة والتعصب والتضليل مما أضاع له كل رونق وكل أثر، ومما أفقد ما يصطبغ به من التضحيات الجسام رونقها..."

اخيراً، وفي سياق توثيقنا لقصائد الجواهري، وعنها، نبرز ان مآثر الامام الحسين، وجلال مواقفه ومبادئه، تكرر في عديد آخر من قصائد الشاعر العظيم ومنها:

- في قصيدة "تحية الوزير" عام ١٩٢٧ وجاء فيها:
حبّ "الحسين" الذي لإقاه مغترباً، من الشأم، وما لإقاه محترِباً
- في قصيدة "ناغيت لبنانا" عام ١٩٤٧ وكذلك قصيدة "يا أبن الهواشم" تحية للملك حسين، عام ١٩٩٢ التي قد ضمنت بضعة ابيات مكررة، ومن بينها:
شدت عروك من كرائم هاشم، بيض نمين "خديجة" وبتولا
وحنت عليك من الجود ذؤابة، رعت "الحسين" و"جعفر" و"عقيل" ..

وإذا الرذائل أصبحت هي وحدها الفضلى الحبيبة
وإذا حكمتكم من قصور الغنايات
ومن مقاصير الجوازي
فانذكروني
فلتذكروني حين تختلط الشجاعة بالحماسة
وإذا المنافع والمكاسب صارت ميزان الصداقة
وإذا غدا النبل الأبى هو البلاهة
وبلاغة الفصحاء تقهرها الفكاهة
والحق في الأسما مشلول الخطى حذر السيوف!
فلتذكروني حين يختلط المزيّف بالشريف
فلتذكروني حين تشتهب الحقيقة بالخيال
وإذا غدا البهتان والتزييف والكذب
المجلجل هن آيات النجاح
فلتذكروني في الدموع
فلتذكروني حين يستقوي الوضع
فلتذكروني حين تغشى الدين صيحات البطون
وإذا تحكم فاسقوكم في مصير المؤمنين
وإذا اختفى صدح البلابل في حياتكم
ليرتفع النباح
وإذا طغى قرع الكئوس على النواح
وتجلج الحق الصراح
فلتذكروني
وإذا التغير الرائع الضراف أطلق
في المراعي الخضرسبيحات العداء
وإذا اختفى نغم الإخاء
وإذا شكا الفقراء و اكتظت جيوب الأغنياء
فلتذكروني
فلتذكروني عندما يفتي الجهول
وحيث يستحزي العليم
وعندما يستحلي الذليل
وإذا تبقى فوق مائدة إمرء ما لا يريد
من الطعام
وإذا اللسان أذاع ما يأبى الضمير من الكلام
فلتذكروني
فلتذكروني إن رأيتم حاكمكم يكذبون
ويغترون ويفتكون
والأقوياء ينافقون
والقائمين على مصالحكم يهابون القوي
ولا يراعون الضعيف
والصامدين من الرجال غدوا كأشباه الرجال
وإذا انحنى الرجل الأبى
وإذا رأيتم فاضلاً منكم يؤاخذ عند حاكمكم بقوله
وإذا خشيتهم أن يقول الحق منكم واحد
في صحبه أو بين أهله
فلتذكروني
وإذا غزيتم في بلادكم وانتم ننظرون
وإذا اطمان الغاصبون بأرضكم وشبابكم
ينماجنون
فلتذكروني
فلتذكروني عند هذا كله ولتنهضوا باسم الحياة
كي ترفعوا علم الحقيقة والعدالة
فلتذكروا ثأري العظيم لتأخذوه من الطغاة
وبذاك تنتصر الحياة
فإذا سكتكم بعد ذلك على الخديعة
وارتضى الإنسان ذله
فانا سأنبج من جديد
وأظل اقتل من جديد
وأظل اقتل كل يوم ألف قتلة
سأظل أقتل كلما سكت الغيور وكلما أغفا
الصبور
سأظل اقتل كلما رغمت أنوف في المذلة
ويظل يحكمكم يزيد... ويفعل ما يريد
وولاته يستعبدونكم وهم شر العبيد
ويظل يلقتكم وإن طال المدى جرح
الشهيد

أن يعيشوا مجتمعاً عادلاً. وقد صرح بان هذه المسرحية تقدم نموذجاً للبطل الوجودي: « كنت حينها متأثراً بشدة بما يكتبه جان بول سارتر من مسرحيات تلهب حماس الجماهير » وواصل الشوقاي سيرته مع المسرح الشعري فيكتب مسرحية وطني عكا عن مأساة فلسطين، ثم يتوج أعماله المسرحية بمسرحية « الحسين ثائراً » و« الحسين شهيداً » عام ١٩٦٨ وفي هاتين المسرحيتين يؤكد الشوقاي على قيمة الاستشهاد دفاعاً عن القيم الإنسانية والحرية والعدالة الاجتماعية حيث كان الإمام الحسين يؤمن بأن الموت دفاعاً عن الحق خير من حياة الركون للباطل، ويقول الشوقاي على لسان الحسين: « طوبى لمن يعطى الحياة قيمة أعلى عليه من الحياة... أما مسرحياته الأخيرة فقد كتب مسرحية النسر الأحمر وأخيراً مسرحية « احمد عربي » عن احد قادة النضال الثوري في مصر، وتم اختياره ليكتب حوار فيلم الرسالة الذي أخرجه مصطفى العقاد.

توفي الشوقاي في الرابع والعشرين من شباط عام ١٩٨٧، وقد عش حياته يؤمن بالاشتراكية التي يتساوى فيها جميع البشر. عندما كتب عبد الرحمن الشوقاي مسرحية الحسين ثائراً - شهيداً، كان يريد ان يعبر عن عواطف وطنية وايضا إنسانية تجاه مواقف التضحية في سبيل إعلاء كلمة الحق، وينبه العرب الى الجرح الغائر بسبب نكسة حزيران عام ١٩٦٧، وقد اتفق مع المخرج كرم مطاوع على تحويل المسرحيتين إلى مسرحية واحدة تقدم على المسرح، وبالفعل بدأت البروفات بداية السبعينيات، لكن كان لازماً على الأثر أن يراجع المسرحية حتى يبدي رأيه فيها لما تمسه من أمور دينية وعقائدية.

فتم التواصل مع الأثر بتاريخ ٨ تموز عام ١٩٧٠ م وتمت الموافقة على عرض المسرحية بتاريخ ٤ آب عام ١٩٧٠ م بعد تعديل أجزاء من نصوص في المسرحية والتعهد بعدم تجسيم الإمام الحسين وبعد الإنتهاء من التصويب يتم حضور وفد من الأثر للتأكد من التنفيذ.

ولم تقدم المسرحية في موسم ٧١/٧٠ لأسباب مجهولة، لكن وفي ٢١ تشرين الأول عام ١٩٧١ م نشرت جريدة الأهرام خبراً مفاده أنه سيتم تقديم مسرحية ثار الله على أن يشارك في بطولة المسرحية عبدالله غيث في شخصية الإمام الحسين.

فالتقى عبدالرحمن الشوقاي خطاباً من مدير النشر بمجمع البحوث الإسلامية يذكره بتعهد الشوقاي له بعدم تجسيد شخصية الحسين على أن يكون بدلاً منه تعليق صوتي مسموع وقائله غير ظاهر للجهور.

وحضر الأثر البروفة الجنرال يوم ٩ اذار سنة ١٩٧٢ م في المسرح القومي وارتأى ذلك التقرير بضرورة منع المسرحية، ولم يكن الأثر متحمساً لأي عمل لعبد الرحمن الشوقاي، خصوصاً بعد معركة الشهيرة مع شيخ الأثر الدكتور عبد الحليم محمود، وهي المعركة التي بدأت حين كتب شيخ الأثر مقال في آخر ساعة قال فيه « ومما يستلفت النظر أن العشرة المبشرين بالجنة كلهم من الأغنياء ». فرد عليه الشوقاي بمقالة شهيرة عنوانها « لا يا صاحب الفضيلة » مضمونها أن الأغنياء لا يشتركون الجنة بأموالهم وأن تاريخ الإسلام زاخر بقراء لم يمنعه فقرهم من العمل والتقرب إلى الله. المقطع الأخير من مسرحية « الحسين ثار الله » لعبد الرحمن الشوقاي :

فلتذكروني عندما تغدو الحقيقة وحدها
حبرى حزينة
فإذا بأسوار المدينة لا تصون حمى المدينة
لكنها تحمي الأمير وأهله والتابعين
فلتذكروني عندما تجد الفصائل نفسها
أضحت غريبة

لأنكم لم تدرکوا ثار الشهيد

مسرحية (ثانية يجيء الحسين) لحمد علي الخفاجي

حسين العلافي



اختار الشاعر محمد علي الخفاجي مأساة الحسين (ع) موضوعاً درامياً ضمن معالجة موضوعية بين اختياريين كما يقول: في مقدمة المسرحية (أما القبول بواقع العجز أمام ضخامة الأحداث والتصديق على أحكام الوقائع الخاطئة، كشاهد يمتنع عن الشهادة، وأما احتواء عذابات الإنسان وهوومه وتطلعاته المغبشة لغرض تحويلها إلى سيف مبصر يؤكد وجوده الأتي وبشكل الناووس في صيغة أخرى:

وامام يسمع بالظلم

ويرضى ان يغمد سيفه

ولكأن يغمده في اعناق المظلومين

وهي لعمرى معادلة صعبة تحتاج الى جهد كبير من المؤلف وخاصة لغة المسرحية لغة شعرية، ولكن كيف قدم لنا الشاعر هذه الدراما التي كتب عنها الكثير من الشعراء وتناولها الكتاب، أمثال عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته الشعرية بجزأياها «الحسين ثائراً والحسين شهيداً» والتي سبق وان كتبنا عنها على هذه الصفحة وكذلك الشاعر محمد العفيفي مطر في مسرحيته «هذا تكلم الحسين (ع)» هل كان ظهور هذه المسرحيات جاءت كنتيجة للتقهر الاجتماعي والأستلاب والضياع والتزدي في مجتمعاتنا العربية والأسلامية اقول: نعم فمأ وجد الشعراء والكتاب شخصاً اعظم قدراً وأجل شأنًا وتأثراً يرفع مشعل ثورته في كل العصور. الأ الحسين فاستنجدوا به، انهم يريدون حسين العصر بكل المبادئ التي حملها، ان ظرف نكسة حزيران هو

الذي دفع هؤلاء الكتاب لكتابة مسرحياتهم، وهي جميعها كتبت بعد النكسة مباشرة وحتى متقاربة في السنين لقد تصفحوا التاريخ وشخصياته، فكان الحسين «ع» مناراً ومفتاح تاريخ الأنسانية في نضالها ضد طغاتها.

ويقول محمد علي الخفاجي: (تصفحت المرحلة التاريخية بالذات مرحلة «٦٠» هجرية كانت تشكل لدى معادلاً تاريخياً لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٦٧ والذي تجلت احداثه بالخامس من حزيران وذلك لما بين المرحلتين من وصال موضوعي). ويقول في موضع آخر: (ان وجود الترابط بين الفترتين فترة ٦٢ هجرية وفترة ١٩٦٧ كانت بمثابة الحافز لكتابة هذه المسرحية في هذه السنة، سنة ١٩٦٧. ان كيف عالج هذا الموضوع وكيف ربط احداث ذلك الزمن الطويل؟

هذه التساؤلات لا يمكن الأجابة عليها الا من خلال تتابع سير المسرحية وسير اغوارها والتسلسل الزمني المنطقي في تناول هذه الأحداث مروراً بالماضي والحاضر والمستقبل في مساهمة سعيها للوصول الى الفكرة المكثفة لتقديرها الى القاريء او المشاهد بشكل منطقي ومقنع، وقد كثف الشاعر محمد علي الخفاجي هذا الموضوع حين قدم الحسين «ع» حاملاً مشعل ثورته يخترق الحجب والظلام وصولاً الى استنار البربرية والزيف والخداع لتمزيقها وتهديم جدران الظلم وريدم اقبية، وهناك الألتفاتة الواعية بسحب المشاهد واجلاسها امام نافذة حياته وحياته الأخرين ليشاركه واقعه المر الذي يعيشه، ثم يبث

فيه روح الأقدام والوثوب الى تغيير هذا الواقع والتفتيش عن (حسين العصر) ثانية والغائب عن

جسامه الأحداث.

ان الأسلوب الملحمي الذي تناول فيه الخفاجي مسرحيته قد اعانه كثيراً في التحرك في خضم الأحداث الكثيرة وتداخل الأزمنة، وكما اسلفنا سابقاً من ان الكتاب حفزهم هذا الموضوع وكتبوا مسرحياتهم رداً على النكسة وبحثاً عن بطل ليعيد الى الشخصية العربية الإسلامية بعضاً من نورها وبهائتها الذي انطلقاً، فذهب البعض نازحاً الى المقاومة عسى ان يجد فيها البديل عن البطل او يجد الرد على النكسة واستخدام المجاميع والمنشدين في مسرحية النار والزيتون لفريد فرج الذي اختار المسرح السياسي ليتلائم مع موضوعه ان عمل الجوقة والمنشدين جاء لتأجيج الأحداث:

ادفن مليون لغم

يسقط الأستعمار والصهيونية

سدد كاتيوشتك لبراجهم

ولتسقط عمدة النازية

وامان ارفع جهز اطلق

ولتحيا بلادي حره يا بلادي

ومحمد علي الخفاجي استخدم الجوقة في التعليق على الأحداث وروايتها، وكلا المسرحيتين اعتمدتا على الأسلوب الحديث (المسرح السياسي والمسرح الملحمي).. اذا كيف قدم محمد علي الخفاجي مسرحيته؟ لابد لنا من استقراء الأحداث متصفحاً المسرحية بدءاً من المشهد الأستهلالي.

الذي يقودنا معه الى الأحداث من خلال صوت الأعرابي من خلفية المسرح الذي يمسأ بالديكور المكمل لمشهد محمد بن الحنفية.

صوت الأعرابي / يا قراء الأمة

يا عشاق الكلمة

ان ابا عبد الله يرحل في غد

ان ابا عبد الله يرحل في غد

يردد الصوت ثم يبتعد

يا عشاق الكلمة ان ابا عبد الله

وجه رسول الله الباقي فيكم

يرحل في غد

يرحل في غد

وفي مشهد آخر يقف محمد بن الحنفية بجانب الحسين «ع» (بصحة افضل) يسدي النصح لأخيه

بأن يعدل عن هذا الذهاب الى الكوفة وفي العبارات الأخيرة من كلماته الى الحسين (مستدركا):

ولأن سافرت

من المعدل امام غيرك

ايظل العالم دون امام يهديه

فالكوفة ادمنت القتل

الحسين «مقاطعاً»

حسبي ذلك يا ابن ابي

حسبي ذلك

«يطرق رأسه قليلاً ثم يواصل»

ماكان الكون يؤاخي طرق التغيير

لولا الأستشهاد

ولوان يتعمد هذا العالم بالدم

ولولا يطعم جوعان لحم ذراعه

او يبصق نذل في وجه نبي

وامام يرضى بالظلم ويغمد سيفه

لكأن يغمده في اعناق المظلومين

لاترجح كفة ميزان العدل الا بالقتل

قتلي

او يفهم هذا العالم ان يزيد السفاك

يقتل بسمة شياطين الصمت النفس المحرمة

(بهذوء)

العالم ملثت بالآدران

وانا ماض لأظهره بدمي

ولقتلي وانا اختار

خير للمعدل من الحيا

هذه هي رؤيا الحسين الصادرة من قراره الصادق، وهذه الكلمات التي صورها محمد علي الخفاجي شعراً هي جزء من بيانه التصحيحي الأول للامة الذي طرحه كمعالجة لمعسكر يزيد وفقه والموقف التضليلي للامة الخائفة المنحنية للسيف والمال، ثم يترك مشهد الرحيل بلا خلفية تسد فراغ غياب الأمام فبرزت الجوقة التي تروي الأحداث وتعلق عليها وحياناً تتجول في المدينة وتقترب من حسيها، هذه المدينة التي خلّت من الحسين، وهذه التفاتة ذكية وجميلة تسد الثغرات التي تحدثت من جراء غياب الفاعل وتبقى بلا فصل.

فا لجوقة بعد الرحيل:

غابت الشمس عن افك فالليل مدينة

ينحب البحار فيها والسفينة

وعلى ابوابك العاشق رمل المايا

غائب في الصمت رثاء الحوار

وجبه مرثية غائمة

تفتح المرحلة في تل الرماد

يامدينة

راح عاشقك الأتي على جنح سحابه

تحتة يمتد سجاد النهار

ويمتد صوت الجوقة يتابع سير الحسين «ع»

ويطرح كلمات الصدق ويوضح الهدف

لقد صاغ الشاعر محمد علي الخفاجي هذه

الكلمات من بيان الحسين «ع» وارساها على

جرف الحقيقة بكلماته الشعرية المعبرة، وكيف

لايقول ذلك وهو يمتلك لغة التعبير الرصينة:

يطير في مفارق الدروب

مورفاً جواده

يأخذ من يد الضرورة الرياء

يسير عاشقاً الى محطة الشهادة

يمتد جيداً واصلاً انصاره القلادة

وقد استخدم في هذه اللوحة متن الفصل الكشف

والمعالجة بأختلاف الشخصيتين (ابن حديت)

(وابن معاصر) واراد في هذا اشراك الجمهور

وتحفيزه وجعله نسيج المسرحية لاسيما وان

استخدام القاعة جاء مكملًا للمسرح وخروج (ابن

حديت) منها ومن بين الجمهور، ودمج الممثلين

بالجمهور، كان استخداماً مبرراً، لانه لا يريد

للمسرحية ان تسير ضمن سردها التاريخي

التقليدي، ارادها قضية متقدة مستمرة بين الناس

على مر العصور، وهي واقعية عاشت في وجدان

الناس.

انه تكتيك يثير الجدل الثقافي بطرح عصري

يسير باتجاه التصحيح برمته الى الأفضل ان

دخوله في اعماق نفوس اهل الكوفة كان دخولا

تاريخياً وتكوينياً بدءاً من هذه المدينة والى

عموم اهل العراق والعالم الإسلامي، اراد ان

يستمر الجدل للوصول الى الحركة التصحيحية

في هذه المدن المضطربة وللحاق بما قدمته

الشعوب من حضارة وتقدم.

وفي مشهد (الفجبة) عمر ابن سعد يأمر الشمر

بأن يحترق رأس الحسين «ع» فيتردد الشمر فيصيح

به عمر ابن سعد: هيا يا شمر اجننت؟!

الشمر: (وهو يعود الى ناحية الحسين)

ابدأ ابدأ

فأنا من تلك الشجرة لاتطلع غصناً الا هو غمد

يحمل سيفاً

(لحسين وهو يشرف على الشهادة)

ايه يا ابن علي

ما اوج ذكرى ابيك على نفسي

لما كان يهش السيف بأجسادى... في بدر وحنين

(يجلس على صدره)

والآن راسك عندي ملك سليمان

يفنى الدهر ولا يفنى

اعرف انك سبط رسول الله

وعندما يحترق الرأس وينهض تبدأ لوعة وصراخ

وبكاء، وينبعث صوت يردد ثانية: يجيء الحسين

ويرد عليه الشمر ثانية:

يجيء الشمر

الحسين (صوت)

يتلثم سيفك يا شمر ويصدأ

ولكن لن تصدأني الكلمات

لن يتوقف هذا الدم

الا ان يغسل من هذا العام ادرانه

سأجيء ولن تأتي... لن تأتي لن تأتي

سأجيء ولن تصدأني الكلمات ثانية

سأجيء (يتكرر الصوت ويتعد الظلام)..

قالوا في الإمام الحسين



No. - Domes of Kerbala, Iraq

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى ربيع

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

إعداد : عراقيون



كارل بروكلمان - مستشرق ألماني:

قال هذا الكاتب في كتاب له اسمه (تاريخ الشعوب الإسلامية): الحق أن ميتة الشهداء التي ماتها الحسين بن علي قد عجلت في التطور الديني لحزب علي، وجعلت من ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجة.

الشيخ عبد الحميد كشك:

لا أجد تعبيراً يسعني الآن عن زينب، ولكن يكفي أن أقول إنها جبل من جبال الصبر. جبل من جبال الصبر يا زينب. إنني عما قليل سأكون عند رسول الله وعلمت زينب بأن الحسين سيعيقها إلى الدار الآخرة عباس محمود العقاد، الكاتب والأديب المصري: ثورة الحسين، واحدة من الثورات الفريدة في التاريخ لم يظهر نظير لها حتى الآن في مجال الدعوات الدينية أو الثورات السياسية. فلم تدم الدولة الأموية بعدها حتى بقدر عمر الإنسان الطبيعي، ولم يمض من تاريخ ثورة الحسين حتى سقوطها أكثر من ستين سنة وتيف.

عبد الحميد جودة السحار - أديب وروائي وكاتب قصة مصري:

(لم يكن بوسع الحسين أن يبايع ليزيد ويرضخ لحكمه؛ لأن مثل هذا العمل يعني تسويغ الفسق والفجور وتعزيز أركان الظلم والطغيان وإعانة الحكومة الباطلة، لم يكن الحسين راضياً على هذه الأعمال حتى وأن سبى أهله وعياله وقتل هو وأنصاره..).

طه حسين - عميد الأدب العربي:

(كان الحسين يتحرق شوقاً لاغتنام الفرصة واستئناف الجهاد والانطلاق من الموضع الذي كان أبوه يسير عليه؛ فقد أطلق الحرية بشأن معاوية وولائه، إلى حد جعل معاوية يتهدده، إلا أن الحسين ألزم أنصاره بالتمسك بالحق..).

إنطون بار، من كتابه (الحسين في الفكر المسيحي):

١- واقعة كربلاء لم تكن موقعة عسكرية انتهت بانتصار وانكسار بل كانت رمزاً لموقف أسمي لا

دخل له بالصراع بين القوة والضعف، بين العضلات والرمح بقدر ما كانت صراعا بين الشك والإيمان بين الحق والظلم. ٢- أثر الحسين (عليه السلام) صلاح أمة جده الإنسانية الهادية بالحق العادلة به على حياته، فكان في عاشوراء رمزاً لضمير الأديان على مر العصور. ٣- لو كان الحسين منا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبر، ولدعونا الناس إلى المسيحية بإسم الحسين.

الشيخ محمد مهدي شمس الدين من كتابه، (ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وأثارها الإنسانية):

١- كانت ثورة الحسين (عليه السلام) السبب في انبعاث الروح النضالية في الإنسان المسلم من جديد بعد فترة طويلة من الهمود والتسليم.

٢- ثورة الحسين قدمت للإنسان المسلم أخلاقاً جديدة تقول له: لا تستسلم، لا تساو مع علي إنسانيتك، ناضل قوى الشر ما وسعك، ضح بكل شيء في سبيل مبدئك.

الأديب المسيحي جورج جرداق:

حينما جند يزيد الناس لقتل الحسين وإراقة الدماء، وكانوا يقولون: كم تدفع لنا من المال؟ أما أنصار الحسين فكأنوا يقولون لو أننا نقتل سبعين مرة، فإننا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أخرى أيضاً.

المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون:

أخذ الحسين على عاتقه مصير الروح الإسلامية، وقتل في سبيل العدل بكربلاء. الأثاري الإنكليزي وليم لوقفس:

لقد قدم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الغذة.

مستشرق الأميركي غوستاف غرونبيام:

الكتب المؤلفة في مقتل الحسين تعبر عن عواطف وانفعالات طالما خبرتها بنفس العنق أجيال من الناس قبل ذلك بقرون عديدة. ان واقعة كربلاء ذات أهمية كونية، فلقد أثرت الصورة المحزنة لمقتل الحسين الرجل النبيل الشجاع في المسلمين تأثيراً لم تبلغه أية شخصية مسلمة أخرى.

عبد الرحمن الشرفاوي، من مقدمة الإهداء لمسرحيته (الحسين تأثراً وشعبدا):

١- إلى ذكرى أمي التي علمتني منذ طفولتي أن أحب الحسين (عليه السلام)، ذلك الحب الحزين الذي

يخالطه الإعجاب والإكبار والشجن، ويثير في النفس أسى غامضاً، وحنيناً خارقاً للعدل والحرية والإخاء وأحلام الخلاص). ان (يوم عاشوراء) هو يوم تجدد المواقف بين الحق والباطل انتصر الله فيه بالحق على الباطل بموسى على فرعون وبالحسين على يزيد وهو فرعون هذه الأمة.

مستشرق الإنجليزي ادوار دبروان:

وهل ثمة قلب لا يغشاه الحزن والألم حين يسمع حديثاً عن كربلاء؟ وحتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلّه جارلس ديكنز - الكاتب والمؤرخ الإنجليزي المعروف: قال: (إن كان الإمام الحسين قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنني لا أدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إن فاعل عقل يحكم أنه ضحى فقط لأجل الإسلام).

توماس كارليل، الفيلسوف والمؤرخ الإنجليزي: أسمى درس نتعلمه من مأساة كربلاء هو أن الحسين وأنصاره كان لهم إيمان راسخ بالله، وقد أتبنوا بعملهم ذلك أن التفوق العددي لا أهمية له حين المواجهة بين الحق والباطل والذي أثار دهشتي هو انتصار الحسين رغم قلة الفئة التي كانت معه.

الدكتور صابرينا ليون ميرفن) - مستشرق فرنسية إن الحسين بن علي لعب دوراً له صداه في تاريخ أصول التشيع ومنح باستشهاده كل المعاني للحركة الدينية لقد أصبح رمزاً مقدساً، بخاصة عند الشيعة، وهذا واضح من خلال الشعائر الحسينية والمجالس والمواكب والزيارات.

فيليب حتي - مستشرق أمريكي:

(أصبح اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي وهو العاشر من محرم يوم حداد ونواح عند المسلمين.. ففي مثل هذا اليوم من كل عام تمثل مأساة النضال الباسل والحدث المفجع الذي وقع للإمام الشهيد وغدت كربلاء من الأماكن المقدسة في العالم، وأصبح يوم كربلاء وثأر الحسين صيحة الإستنفار في مناهضة الظلم..).

* السيد موسى الصدر:

١) الحسين شهيد كل مؤمن وكلما ازداد الإنسان إيماناً يزداد اختصاص الحسين به. ٢) عندما قمنا بتطبيق أهداف الحسين، نفذنا وجعلنا الحسين منتصراً أكثر لأنه قتل من أجل الدين، فكلمنا زاد الدين ينتصر الحسين أكثر.

الحسين يكتب قصيدته الأخيرة

رشدي العامل



بين برق تالاً في أفقكم والرعود
سيهز الجزيرة صوتي
ويوقظ حتى اللحود
× × ×
منذ ألف تقمطني الأمهات
ويرضعنني من حليب الصدور
منذ ألف تكفنتني الثاكلات
ويغرسن حولي النذور
منذ ألف يحسن الجذور
دمي المستباح
إلى نخلة في أعالي الفرات
منذ ألف أدور... أدور... أدور
وأبقى أدور
مرحبا يا فرات
مرحبا يا فرات

فسأبقى الحسين
وتبقى
إذا نكر الناس
هذا يزيد
× × ×
غادرت نزهة العيد
هذا أوان الحساب
أوقدي الجمر في موقدي يا رباب
ودعي قطرة من دمي تتمشى مع الماء
في قهوة الصباح
عل الفتاجين تسقي الشفاه
ولعل الوجوه التي أنكرتني
تغسل أهدابها بالمياه
ولعلي أعود
على غيمة من وعود

ستجفل من صوتها صهوات الخيول
× × ×
تنوهج في جسدي جمرتان
تتفتح في محجري زهرتان
تتمايل فوق الجبين المخضب
تقفو خيوط الدم
في وجنتي
خصلتان
ها هنا عالمان
بين روح نفر من الجسد المطمئن
وجراح تنز
هنا عالمان
عالم خانة ناسه
وثانٍ سيأتي على مهل لم يخنجر الأبن في
جسدي ما تريد

ذاك ابني
تناوشه في الصحاري الخيول
فاستقيقي إذن يا بتول
أيقظي السيف في كف حيدر
سلي من النوم عين الرسول
× × ×
ذاك رأسي تبعثر بين الرؤوس
بين برد السفوح ورمل الصحاري
صارخا بين نوم الحمام وضرب الفؤوس
ويزيد تمطي بحضن الجواري
عاريا مثل صبارة في القفار
وأنا ارتدي الدم احمر كالجلنار
وأغطي جبيني المخضب بالأرجوان
تلك عيني مفتحة
وعيونك مغمضة يا يزيد
هبي الآن غرسك ، فالיום عيد
× × ×
في أعالي الفرات
صعدت للسفوح الظهيرية
مرت بها زينب تحمل الرأس
صامتة في الغلاة
فانحنى النخل
واستيقظ الماء في السعف
أنت صخور الفرات
وخطت على دربها القبرات
× × ×
زينب في الغلاة
زينب في أعالي الفرات
مرحبا يا فرات
خانك الماء في الصيف
واستل منك المياه
أنت أغرقت في ساعة الصفر أرواحنا
المزهرات
وسطوت علينا
سرت نواكيرنا المتقلبات
مرحبا يا فرات
أيها العاشق الشيخ ، خان العهود
حجبت حماماتنا
ثم أطلقت فينا الفهود
فالنجوم مسورة
والصباحات سود
جرب الآن ما تشتهي يا يزيد
جسدي في ثرى كربلاء
ورأسي بعيد
عانتني السيوف الصفاق
وغزنتي الرماح
ومشت فوق ما بعثرتني الخيول
غير ان السيول
حين تأتي

ها أنا الآن نصفان
نصف يعانق برد الثرى
ونصف يرف على شرفات الرماح
ها أنا والرياح
جسدي تحت لحدي
ورأسي جناح
ها أنا بين رمل الصحاري
ولون السماء
ها أنا في العراء
أنكرتني ضفاف الفرات
فلم الق قطرة ماء
فاقطع الآن من جسدي ما تشاء
سيفل الحديد الوريد
جرب الآن في جسدي ما تريد
ذاك رأسي
على طبق بارد يا يزيد
جرب الآن ما تشتهي هل تعيد
يوم بدر
إذا صهلت في الفيافي الخيول
أم تعمم سفيان
ترضي معاوية والوليد
لجناحي ترف الغصون
وترنو إلي البتول
يقبل ثغري المدى والصحابة
يبكي علي الرسول
فاضرب الآن في جسدي يا يزيد
وزع الآن ما يشترى
وزع الآن من جسدي دمه
لحمه
ثغره
حلم عينيه، فالיום عيد
غير ان السماوات تبكي
وثغر النبي يقبل ثغر الشهيد
× × ×
زينب
وحدها في البراري
تحمل الرأس
رأسي إلى الشام
حتى الرمال
أخرجت ما تضم من الماء
وانسل من جوفها النهر
يدعو تعال
أيها الرأس أسقيك ماء زلال
× × ×
وحدها في البراري
زينب تلثم الرأس
كي تستفيق الصحاري
زينب وحدها
بين رأسي مخضبة والرجال

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

